كعب عالٍ

تلقيت الدعوة، كان حفلاً مهماً لابد من حضوره، قرأت الدعوة الأنيقة، إنها موجهة لي ولزوجي، شعرت بسعادة، كم تمنيت أن يكون معي، أن ألتقي معه ـ يدي في يده ـ بكل زملاء العمل الذين لا يعرفهم، ولم يلتق بهم من قبل.

أخبرته بأمر الحفل، وبأنني أتمنى وجوده، وعدني بالحضور، وفي الموعد الذي حددته له حضر بالفعل.

كان الحفل في دار الأوبرا، بالنسبة لي كانت دعوة عمل ولكنها من نوع مختلف، فأنا لن أرتدي ملابسي المعتادة التي أرتديها كل يوم في العمل، أريد أن أكون مختلفة، أن يراني الجميع بصورة أخرى، صورة لم يعتدها أحد.

نظرت طويلاً في مرآتي، رفعت شعري بشكل لائق، مكياجي زائد بعض الشيء، ملابسي تناسب تماماً جو الحفل وتناسب شخصيتي المتحفظة، وضعت عطراً مميزاً.. يناسبني.

خرجت إليه، كان ينتظرني، لم ألفت انتباهه، لم يعلق على مظهري، لم أرني في عينيه شيئاً مختلفاً، غادرنا البيت، كان الطريق

طـويلاً، صـوت الكاسـيت لا يعلـو علـيه صـوت آخـر، حاولت أن أتكلـم، أن أخلـق حـواراً مـا، ولكـن إجابـته كانت مختصرة للغاية، اغتالت كل محاولاتي.

وصـلنا متأخـرين، غادرنـا السيارة، كان يسير بسرعة، حاولت اللحاق به، الكعب العالي الذي لم أعتده كان عائقاً، قلل من سرعتي وثبات خطوتي، فكان هو الأسرع.

شـعرت بـأنني أسـير وحدي، وأن كلا منا يخطو في الطريق نفسه ولكن بعيداً عن الآخر.

كانـت الحفلـة قـد بدأت، دخلت دون أن يراني أحد، اختار هو مكاناً بعيداً لكي نجلس فيه، رفض اقتراحي الهامس أن نجلس قريباً من المسـرح، جلسـت إلى جـواره، حاولـت أن أضـع سـاقاً علـى ساق ـ كعادتـي ـ ولكـن المسـاحة كانـت ضـيقة للغاية، استدرت قليلاً حتى أتمكـن مـن الجلـوس في الوضـع الذي اعتدته، وأخيراً سمعت صوته واضحاً بعيداً عن الإشارات والهمهمة: لماذا تديرين ظهرك لي ؟

تعجـبت.. ! حاولـت أن أبـرر له، أن أخبره أنني بهذه الطريقة سـأتمكن مـن رؤية المسرح بوضوح، أدار وجهه دون أن يوجه لي كلمة أخرى.

انتهى الحفل سريعاً، نهض، أصر على أن نغادر فوراً قبل الزحام، أخبرته أنني لم أر أحداً من الزملاء بعد، وأنني أرغب في أن ألتقي بهم لإثبات وجودي وتأكيد حضوري إلى هذا الحفل، ولكنه رفض أن ألتقي بأحد، رفض أن يشاركني شيئاً خاصاً بي.

غادرت معه، أبديت عدم اهتمامي رغم ضيقي الشديد منه، لا أريده أن يكسب جولة على حساب مشاعري، كان يتحرك بسرعة، السرعة نفسها التي جاء بها، حاولت اللحاق به، ولكنها المسافة نفسها، البعد نفسه الذي حاولت أن ألغيه، لم يترك لي مساحة للنقاش ولا حتى فرصة للحاق به، سار بعيداً وبسرعة، لم أكن أسمع وأنا أخطو سريعاً نحوه سوى دقات الكعب العالي، التي تُعَبِّر عن سرعتي وفشلي في اللحاق به.

كان طريق العودة طويلاً، وصوت الكاسيت لا يعلو عليه صوت آخر، حاولت أن أتكلم، ولكن دموعي كانت أسرع من كلماتي؛ ففضَّلت السكوت.